

آثار ومزارات دينية تتعرض للسرقة والخراب في الحويجه



صباحا 23/4/2011 12:00

كنوز تاريخية تختبئ بين الواحات الخضراء

تحقيق وتصوير - مهدي الربحاي

تسر الناظر تلك الواحات الخضراء الجميلة التي تزين قرى قضاء الحويجة التابع لمحافظة كركوك، هذه المساحات الكبيرة الخضراء، تخبئ بين ثناياها كنوزاً تاريخية وإسلامية عدة تضرب في جذور التأريخ، عجز معرفة خفايا البعض منها والكشف عنها الباحثون والمهتمون بالتراث العراقي.

وبين قرية وأخرى تجد حكاية تاريخية يتداولها الفلاحون وفقاً لروايات آباؤهم أو أجدادهم، لكن هذه الروايات في الغالب ليس لها سند حقيقي، الا ان الابنية الشاخصة والتلال الأثرية تضع علامات استفهام عدة. هذه الروايات يستمع لها من يحاول ان يتعرف على تلك الآثار التي لم يبق منها سوى اطلال تراثي حالها بسبب الإهمال، وواحدة من هذه الآثار كما ذكر لـ"الصباح" قبر الشيخ العلامة حماد بن أبي سليمان والمعروف بـ(أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الأشعريين) أصله من أصبهان وتلميذه الإمام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت المعروف بالامام الاعظم.

الحفر العباسي

المواطن صلاح مهدي من سكة قضاء الحويجة قال " ان العلامة البارزة في القضاء هو (الحفر العباسي) ممر الحويجة المائي والمعروف عنه حالياً (مشروع الحويجة) والذي يعود تاريخه الى العصر العباسي، الذي يبدأ من الزاب الأسفل ويشق القضاء الى نصفين متجهاً نحو قرى وأفضية محافظة ديالى، مضيفاً بأنه عثر قربه العديد من الآثار الاسلامية وغيرها من الآثار التي يجهل عانديتها، لكن إهمال هيئة الآثار السابقة والحالية بالسعي الحقيقي بالكشف والمحافظة على هذه الآثار، كان واحداً من الأسباب التي جعلت المزارعين يتجاوزون عليها حتى جاءت يوماً بعد يوم الأراضي الزراعية. وازاف "ان الآثار في قضاء الحويجة بشكل عام تحتاج الى وقفة جادة من قبل المؤسسات المسؤولة عن ذلك، لاسيما المواقع

الأثرية الدينية، حتى لا تستباح حرمتها، او استغلال اراضيها للزراعة لعدم معرفة الفلاحين بأهمية ذلك من الناحية الدينية او الأثرية و التاريخية “.

شاهد عيان

يعد الحاج حسين الويس الذي يسكن قرية ويس أكبر أبنائها سناً في المنطقة، فهو معمر بلغ عمره أكثر من 115 سنة، قال “ لقد علمت من والدي وأجدادي ان هذه الآثار تعود لمدرسة دينية كبيرة تعود للعصر العباسي، وقد لاحظت بها آنذاك أطلال المآذن الأربع التي تهدمت بمرور السنين، هذه المدرسة كانت شاخصة الا انها لم تجد الرعاية والاهتمام حيث تمت صيانتها مرة واحدة بشكل بسيط جداً، لا يتناسب والمساحة الواسعة التي تشغلها والهندسة المعمارية الدقيقة التي تبرز الحضارة الاسلامية. وأشار الى ان "هنالك مواقع أثرية كثيرة، البعض منها لم يكتشف والآخر تعرض الى دمار كامل بسبب استغلال الفلاحين لتلك الأراضي التي امتدت اليها أياديهم ومعاولهم في بعض القرى". واستطرق الحاج حسين "ان تأريخها يعود بحسب ما ذكر الى العهد العباسي والتي تسمى الامام اسماعيل والآخرى الشيخ حماد، هذا كل ما يعرفه أهالي قضاء الحويجة عنها. الحاج حسين الويس ذكر ان طالباً كان يعد أطروحة دكتوراه استعان به من أجل معرفة حقبة زمنية مجهولة واستطاع ان يروي له تفاصيلها بالكامل، كون معركة كبيرة وقعت بالقرب من منطقة الزاب الاسفل نهاية الدولة الاموية.

قبر الشيخ حماد

ان ما يثير انتباه الزائر الى قضاء الحويجة هو البعض من الأبنية الأثرية الشاخصة والتي تأكلت بسبب الظروف الجوية التي لم تمتد اليها يد الصيانة بحسب ما ذكره مهتمون بالآثار تعود الى شخصيات اجتماعية من هذه الشخصيات الشيخ حماد بن سليمان وولده اسماعيل. يقول عبد الوهاب محمد استاذ في اعدادية الحويجة ان القبر الواقع قرب منطقة حوض 6 يعود للشيخ حماد بن سليمان، اما القبر الواقع على طريق قرية تل علي يعود لولده اسماعيل بحسب ما ذكره له استاذ تاريخ في جامعة الموصل. والشيخ حماد بن سليمان توفي عام 120هـ /737م، تقريباً. وتطرق عبد الوهاب في حديثه قائلاً “ان نسبة كبيرة من أهالي الحويجة يجهلون هذه المراقدين الدينية، لذلك أصبح التجاوز عليها أمراً اعتيادياً، في ظل غياب الاهتمام الحكومي منذ سنوات عدة حتى وصل الحال على ما هو عليه اليوم، وأعتقد ان هيئة الآثار اذا لم تجد حلاً سريعاً في إعادة تأهيل وصيانة الآثار في المنطقة بعد سنوات قليلة ستنتهي هذه المواقع بالكامل، موضحاً ان الضرورة تستوجب ان تكون هنالك توعية للمواطنين بأهمية هذه الآثار وعدم التجاوز عليها وإبلاغ الجهات المسؤولة في حال إيجاد اي مكان أثري للمحافظة عليه.

هيئة آثار كركوك

هيئة آثار كركوك أكدت من خلال مديرها اياد طارق حسين ان في قضاء الحويجة عددا كبيرا من الآثار ومنها مزارا الامام حماد وولده اسماعيل وهما بحاجة الى صيانة، لكن الهيئة منذ العام 2003 لم تتسلم تخصيصات مالية من المحافظة لعملية التنقيب او الصيانة، وانحسر الأمر على ما يخص من مشروع تنمية الأقاليم وهذه مخصصة لقلعة كركوك الأثرية والتي وصلت الى مليار دينار.

واضاف "ان الهيئة العامة للآثار والتراث لم تخصص مبالغ مالية، ومرفد الشيخ حماد وولده اسماعيل في ناحية العباسي يحتاج الى صيانة كونه مهملاً ومتروكاً، والذي من الممكن ان يستثمر في المجالات السياحية والزيارات الدينية، وهذا ما نعمل عليه في الوقت الحاضر في قلعة كركوك الأثرية التي يعود تاريخها الى 2600 قبل الميلاد عصر فجر السلالات السومرية، تقوم الهيئة بإعادة تأهيل البيوت التراثية الموجودة في القلعة من أجل استثمارها كمراحل في الوقت الحاضر بحسب الاتفاق مع هيئة الاستثمار في المحافظة.

شروط قانونية

كما أعلن مدير آثار كركوك "عن عروض قدمت من قبل المستثمرين لاستثمار احد البيوت المصانة حديثاً من اجل استغلاله في بيع الانتيكات، لكن سنضع شروطاً قانونية ملزمة على المستثمر بالحفاظ على الموقع وبخلافه سيتم تعريمه المبالغ التي انفقت على الصيانة.

الهيئة أكدت أن جميع الآثار متجاوز عليها من قبل المواطنين سواء بإضافتها لأراضيهم الزراعية أوفي البناء، حيث يتم بناء وحدات سكنية في أراضي محرمات التلوث الأثرية، وبرز ذلك في قرية ناحوز التي تحولت غالبية المناطق الأثرية فيها الى مواقع للسكن وسبق وان وجه قرار اخلاء هذه الاراضي الى الاهالي لكن بعد أحداث العام 2003 لم ينفذ القرار، وإذا أردنا أن نقوم بعمليات التنقيب فستكون في التل الأثري، وهذا الأمر يحتاج الى قرار حكومي وتخصيصات مالية كبيرة للتنقيب وإعادة تأهيل وصيانة جميع الآثار الموجودة في المحافظة.

موضحاً ان تحديد القبور وعائديتها يتم من خلال الهيئة، وآثار كركوك لم تحقق في أماكن عدة للأسباب التي ذكرت مسبقاً، لكن الحلول الآتية تتمثل بوجود أن يتم تعيين حراس على هذه الأماكن الأثرية من أجل ضمان سلامتها من عبث المخربين. وبين أن هيئة الآثار لديها عشرون حارساً فقط، والملاك المطلوب يتسع الى 100 حارس وهذه مشكلة أخرى تواجهنا، حيث تضم كركوك اكثر من 700 موقع أثري منها الشاحصة والتلوث الأثرية، والخطوة الاولى لحمايتها تكون بتعيين حراس أمنيين فيها، وتسبيح الموقع، وهذه تحتاج الى امكانيات مالية كبيرة لا تمتلكها الهيئة، وقال: خاطبنا الهيئة في بغداد من أجل ذلك، موضحاً ان الهيئة تسعى الى إصدار دليل أثري خاص بمحافظة كركوك حتى يتمكن من خلاله الزائر من معرفة الأماكن الأثرية والتراثية في المحافظة.

ويبقى السؤال هو هل سيتم النظر في حماية تلك الآثار ام ستبقى في متناول يد العابثين والسراق؟.